



مجلة دراسات تاريخية

NISSN: 9741-2352

EISS :6723-2600



رحلة عبد الباسط بن خليل إلى المغرب الأوسط.

(866_هـ - 1462م/871-هـ-1466م)

Abdel Basset bin Khalil's trip to Central Maghreb

(1466-871/1462 - 866)

شريف عبد القادر

Cherif abdelkader

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

مخبر البحث (إن وجد).

Cherifaek01@gmail.com

الملخص:

تبحث هذه الورقة العلمية في مسألة الرحلة ودورها في كتابة التاريخ و تسليط الضوء على أهمية هذا النوع من الكتابة، من باب الكشف عن إرث أدبي وجغرافي عربي واسع وثري، يكشف عن تجذر العلاقة بين المغرب والمشرق واشتراك كل منهما في إنجازاته من ترحال العرب والمسلمين في جغرافيات متنوعة سفارة وتجارة وسياحة واستكشافا، وطلبا للعلم. وهو ما جعل العرب والمسلمين يتركون وراءهم إرثا من المخطوطات المصنفة في أدب الرحلة والعلوم الجغرافية على تنوعها، وكلها تحمل تصورات ومعلومات وأفكارا عن الآخر في عمرانه ومعاشه وتقاليده وثقافته وأحواله ومن أبرز هؤلاء الرحالة عبد الباسط بن خليل الملطي نحو المغرب الأوسط.

الكلمات المفتاحية:

عبد الباسط بن خليل-الرحلة-المغرب الأوسط-العلوم-كتابة التاريخ.

Abstract

This scientific paper examines the issue of the trip and its role in writing history and highlighting the importance of this type of writing, in order to reveal a broad and rich Arab literary and geographical heritage, which reveals the roots of the relationship between Morocco and the Orient and their participation in their respective achievements from the travel of Arabs and Muslims in various geographies embassy, trade, tourism and exploration, and the demand for knowledge. This is why Arabs and Muslims leave behind a legacy of manuscripts classified in the literature of the journey and geographical sciences on their diversity, all of which carry perceptions, information and ideas about the other in its architecture, pension, traditions, cultures and conditions, the most prominent of which is the traveler Abdelbaset ben Khalil al-Malti towards the Middle East.

Key words :

Abdelbaset Ben Khalil - The trip - Middle Est- Science - History Writing

مقدمة:

لقد أصبحت الرحلة مع مرور الزمن ضرورة تعتبر من أهم الوسائل التي أرخت لتاريخ البشرية وفتحت عيونه على أعمالهم حافلة بالمعلومات التاريخية والحضارية ، نذكر من هؤلاء على سبيل المثال الرحالة -عبد الباسط بن خليل الملقب- وقد حرص الرحالة فيما بعد على تدوين خلاصة ماشاهدوه وما لاقوه أثناء أسفارهم ، حتى غدت الرحلة فنا قائما له مبادئه وخصوصياته .إن التراث العربي الجغرافي غني بالدراسات عن مختلف بقاع العالم ويرجع الفضل في ذلك إلى الرحلات التي قام بها العلماء من العرب والمسلمين ، إذ كرسوا حيا تهم لتقصي الحقائق والمعلومات عن سائر البلدان فهي تعتبر قناة من قنوات التواصل بين الشعوب قديما وحديثا.إن الرحلات بين المغرب والمشرق أو العكس كانت بحق جسرا عبرت من خلاله ثقافة المغرب الى المشرق العربي ونقلت ثقافة المشرق إلى المغرب العربي، فقد مدت جسور التواصل بين شقي العالم الإسلامي كما كشفت عن جوانب شتى من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في ذلك العصر..

وفي هذا الصدد نركز على نوع من الرحلات ألا وهو الرحلات المشرقية والمغربية ونختار منها رحلة عبد الباسط بن خليل الملقب إلى المغرب الأوسط وفق إشكال مفاده: من هو عبد الباسط بن خليل ؟ كيف هي صورة المغرب الأوسط في رحلته ؟ وما دور الرحلة في التواصل الحضاري بين المشرق العربي والمغرب ؟ و تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن شخصية الإمام عبدالباسط بن خليل أحد الرحالة العرب والمسلمين الذين جابوا العالم ودونوا يومياتهم وانطباعاتهم، ونقلوا صورا لما شاهدوه وخبروه في أقاليمه، قريبة وبعيدة، وكانت رحلته آخر حلقة في سلسلة الرحلات المشرقية إلى المغرب الإسلامي والأندلس. وللإجابة على هذه الإشكالية اتبعت المنهج التاريخي الذي يعتمد على آليات ،كالوصف لتوضيح كل ما قام به هذا الرحالة من وصف لمعالم المنطقة والتحليل للوقوف على الأحداث التي شهدها المغرب الأوسط من خلال نظرة رحالة معاصر للفترة.

1.حياته:

وُلد عبدالباسط بن خليل بن شاهين الملقب الحنفي، والملقب زين الدين، في ملطية يوم 11 رجب 844هـ - 6 ديسمبر 1440م، ونشأ في بيت رئاسة، وكان أبوه خليل بن شاهين ابناً لأحد سلاطين المماليك، وتولى حكم بارس باي، والإسكندرية، والكرك، وحلب، ودمشق حتى وصل إلى منصب أمير الحج بداية من سنة 840هـ - 1437م، ثم تقلد منصب وزير، كما كان من أمراء المماليك وأعلام رجال الإدارة في عصره، بل كان من كبار المؤلفين كما يشهد بذلك كتابه «زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك»، وهو عرض للوظائف السياسية والإدارية في إمبراطورية المماليك في القرنين السابع والثامن بعد الهجرة (13-14م).2 ووجهه أبوه منذ الصغر إلى طلب العلم وحفظ القرآن الكريم ودراسة اللغة العربية والأدب والتاريخ، وتعلم القراءات وحفظ منظومة النسفي والكنز ونصف المجمع، وحضر دروس قوام الدين وحמיד الدين النعماني وغيرهما من علماء

الحنفية، وقرأ على جماعة من علماء الروم كالعلاء الرومي قاضي قضاة العسكر بدمشق، والبرهان البغدادي في مدينة طرابلس الشام، ورحل إلى القاهرة ولازم النجم القرمي وتلقى عنه علوم العربية والمعاني والبيان. وقد مال عبد الباسط إلى دراسة الطب فقصده بلاد المغرب سنة 866هـ/1462م 3

2. مؤلفاته:

ولكن عبد الباسط لم يتبع أباه في سلك الإدارة، بل درس الفقه والأدب والطب واشتغل بالتجارة والتأليف. وكان من المؤرخين الموسوعيين بحيث اهتم بالتأليف في الفقه الحنفي والطب، وتنوعت مصادره وثقافته حيث اتصل بعلمة القوم وكبار العلماء في كل مدينة زارها، لقد اكتسب وجهة اجتماعية في أوساط العامة والحكام، كما ساعدته ممارسة التجارة اكتساب موقع اجتماعي محترم فجمع بين المكانة السياسية والمكانة العلمية. ومن آثاره كتاب «الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم»: ويبحث في تاريخ الدول الإسلامية ولا سيما مصر وسورية، على نمط كتاب السلوك للمقريزي. ولم يصلنا منه إلا أجزاء في مخطوطتين بمكتبة الفاتيكان. وتشمل إحداها الكلام على ما بين سنتي 865 و867هـ. وفيها إشارات إلى رحلة طويلة قام بها عبد الباسط في بلاد المغرب للتجارة، ودراسة الطب على أعلام الأطباء في تلك البلاد.

وله عدة مؤلفات في التاريخ والطب والفقه، وقد طبع من مؤلفاته في التاريخ ما يلي:

- نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين. صدر بتحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، في سنة 1307هـ-1987م.
- غاية السؤل في سيرة الرسول. صدر بتحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، في سنة 1408هـ-1988م.
- نيل الأمل في ذيل الدول صدر بتحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، سنة 1422هـ-2002م.
- المجمع المفتن بالمعجم المعنون. صدر بتحقيق عبد الله محمد الكندري، في سنة 1432هـ-2011م.
- الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم. صدر بتحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، سنة 1435هـ-2014م 4.

3. رحلاته إلى حواضر المغرب الأوسط:

استهل عبد الباسط رحلته بزيارة الممالك والدويلات الإفريقية الواقعة في حكم الحفصيين وبني عبد الواد وبني نصر. وكان سفره من الإسكندرية في شوال سنة 866هـ/جويلية سنة 1462م على إحدى سفن البندقية وممر بجزيرة رودس، ثم نزل في تونس بعد رحلة بحرية دامت ثلاثة وثلاثين يوماً. وبعد أن أقام عدة أشهر في عاصمة بني حفص غادرها على إحدى سفن البندقية إلى طرابلس ومنها إلى قابس ثم القيروان. ورجع بعد ذلك إلى تونس ثم رحل عنها إلى قسنطينة التي ترك لنا عبد الباسط انطبعا طيبا عنها حين وصف لنا خيراتها وجمالها وحسن مناظرها مما تحتويه من مساتين وأجنحة وأبنية حسنة 5. وفي طريقه من قسنطينة إلى تلمسان استقر به المقام بمدينة بجاية بحيث قال عنها: "وبها اجتمعت بالعلامة

سيدي أبي القاسم محمد المشدالي⁶ والد الشيخ أبي الفضل المغربي. "ويكون قد أخذ عنه الكثير من الفوائد والعلوم وحاوره في مسألة وفاة ابنه بالقاهرة. وذكر أن مراكب للفرنجة داهمت بعض ساكنة بجاية وأسرت العديد من المسلمين 7.

ويظهر أن رحلة عبد الباسط لم تقتصر على وصف مدن المغرب الأوسط فقط بل كانت رحلة علم وتعلم وما يؤكد ذلك حين زيارته مدينة الجزائر قام بلقاء الشيخ عبد الرحمن الثعالبي الذي يروي عنه: "سمعنا شيئا من فوائده وسألته بعض الأسئلة كانت تشكل علي فأفادني على أحسن وجه. "لقد تعلم منه التفسير وبعض القراءات وفي النهاية أجازه، هذا الذي يعكس شغف الرجل بالتعلم والتزود بمختلف العلوم والحرس على أخذها، كما يبين من جهة أخرى مدى ازدهار الحياة العلمية بالمغرب الأوسط 8. ومر في طريقه بمدينة مازونة وقلعة هواره والبطحاء، ودخل عاصمة الزيانيين في أواخر ذي القعدة 868 هـ - 1464 م، ومن المسائل التي شدد انتباهه هو طريقة الإعلان عن النحر في عيد الأضحى بعد انتهاء السلطان من نحره حيث تحمل الأضحية ويجاب بها الشوارع ليعلم الناس بذلك 9.

كما يطلعنا بأنه رزق بابنة له في تلمسان وسماها عائشة مما يكشف على أنه كان برفقة العائلة لكنه يتأسف لفقدانها في جائحة الطاعون الذي ضرب المدينة 10. ويصف لنا حادثة مهمة وقعت في ميناء هنين تتمثل في وقوع عدد من الأسرى الفرنجة في قبضة المسلمين ويرى السبب أن هؤلاء هم الذين جاءوا لأسر الزيانيين ما يعكس انتشار هذه الظاهرة من أجل المال على اعتبار أن السلطان الزياني محمد بن أبي ثابت 11 عند ما أسرهم عاقب بعضهم وأسّر آخرين للإستفادة من أموال الفدية 12. وعند مروره بالعباد بتلمسان شبهه بصالحية دمشق الذي به مقام الولي الصالح سيدي أبي مدين شعيب الإشبيلي 13. ويروي عن زيارته واجتماعه بالعلامة أبي عبد الله محمد بن العباس شيخ تلمسان وعالمها وخطيب جامع العباد، ويقول أنه أخذ عنه الدروس في جميع فنون العلم لأزيد من ستة أشهر، كما التقى بالشيخ الفاضل أبي عبد الله محمد العقباني 14 وجماعة من الفقهاء والعلماء التلمسانيين حيث نقل عنهم وأجازوه في ذلك 15. كما التقى بالطبيب محمد بن علي بن فشوش أحد أطباء تلمسان وحضر دروسه وأجازه، ولزم ابن الأشقر الأندلسي أمهر العلماء في العلوم القديمة والطب وعلم الوقف والميقات، كما لزم الطبيب اليهودي موشي بن سامويل بن يهودا الإسرائيلي المالقي وأثنى عليه في رحلته 16.

ونزل في بيت صاحب الأشغال عبد الرحمان بن النجار وكان له نفوذ كبير في الدولة الزيانية، وسأله ابن النجار أن ينظم قصيدة يمدح فيها السلطان الزياني يوم عيد الفطر فأجابه عبد الباسط نظم قصيدة مكونة من 40 بيتاً ولما وصلت إلى السلطان دعاه إليه ورفع من شأنه وشكره على ذلك وكتب له ظهيراً بمسامحته في كل ما كان يتصرف فيه من البضائع لما أنه كان تاجراً، وأمر بإقامة نزل له بوهران إلى حين سفره من المغرب الأوسط ورتب له طعاماً، وسأله عن مواضع من القصيدة أشكلت عليه فأجابه عنها وباحثه في ذلك، فقال عبد الباسط عنه: "فوجدته ممتن ينسب للعلم والفضيلة التامة ومعرفة الأدب ونقد الشعر.

وأمر السلطان الزياني بأن تكتب القصيدة بخطّ جيّد و أن يقرأها إنسان من أهل تلمسان ممّن له حسن الصوت حتّى ينشدها بين يديه في يوم العيد، وممّا جاء فيها:

أعني المليك الذي شاع مكارمه من آل زيان أقيال أماجيد
هم الملوك و أبناء الملوك ومن يقل سوى ذا فداك مردود 17

ولم يستثن عبد الباسط القضايا السياسية من رحلته بدليل ما ذكره عن الخلاف بين الحفصيين والزيانيين حيث قام السلطان محمد بن أبي ثابت بتحصين مدينة تلمسان بالأسوار والأبراج خوفا من تهديدات السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان كما قام أبي ثابت بالإتصال بحاكم غرناطة من أجل امداده بالجند في حالة محاصرته من قبل صاحب تونس. 18

وارتحل إلى وهران ووصلها في 24 ربيع ثاني سنة 867 هـ، والتقى بكبار علمائها. وخرج من وهران إلى الأندلس على متن باخرة جنوبية كبيرة، وخلال شهرين ونصف زار ملقة وغرناطة عاصمة النصريين، وجال في بعض المدن، ثم عاد إلى وهران واستقر بها مدة وينفرد بعدة ملاحظات حولها وكان نزوله بها بالقرب من زاوية سيدي ابراهيم التازي ويؤكد على اجتماعه بشيخها أبي العباس أحمد بن العباس المالكي 19 مفتي وهران والشيخ سليمان الحميدي 20 ويصفهما بالعلم والورع والفضل ويذكر بأنه جلس للأخذ عنهم الكثير من الدروس.

وما يعكس اهتمام أهل وهران بالعلم هو حضور الرحالة إلى حفل ختم القرآن الكريم في منزل خطيب المسجد وقد تم تكريم الشيخ المعلم عبد الرحمن بن عزوز شيخ الزاوية وامامها بحوالي مائة دينار ذهباً. 21 كذلك أن اقامته بوههران للتجارة كانت مفيدة ومهمة ويروي عن صاحبها م "محمد الزكاجي" الذي كان يتمتع بجميع الصلاحيات لكنه سجن على عهد محمد بن أبي ثابت وجرده من ممتلكاته وسجن بالقصر بتلمسان مع جماعة من أعيان دولة أحمد بن أبي حمو. ويقف عند مسألة مهمة تتمثل في الرسوم التي كانت تفرض على البضائع والمقدرة بعشر المنتوج كمداخيل للدولة وهي بذلك تمثل عائدات هامة ، كما يذكر بعض طرق التهرب من دفع هذه الضرائب بتخزين السلع عند أهل البلاد. 22 لقد كانت وهران محط العديد من التجار الأجانب كما ذكره خليل بوصول باخرة كبيرة من مركب الفرنجة الجنوبيين بهدف التجارة وكان قدومها من فنلندة ، بحيث ركب على متنها تجار وهران نحو تونس. 23

وكان عبد الباسط يكسب نفقات أسفاره من التجارة في العبيد، وفي البضائع المصرية والمغربية واستطاع بذلك أن يختلط بالتجار في البلاد التي مر بها. ولكنه كان يجتمع — فضلاً عن ذلك — بالفقهاء والعلماء ولا سيما رجال الطب. وكان ينظم الشعر فأمكنه الوصول إلى مجالس العظماء. وكان يكافأ على قصائده في المديح بإعفائه من الضرائب على تجارته أحياناً، وبمنحه العطايا أحياناً أخرى. من ذلك أنه نظم قصيدة في مدح صاحب تلمسان «فكتب له ظهيراً بمسامحته في كل ما يتصرف فيه من نوع المتجر»، وأنه في سنة 867 هـ أنشد للمتوكل على الله صاحب تونس بيتين في مدح بني حفص. 24

مارس عبد الباسط التجارة، فتحمل الكثير من المتاعب لكن ذلك أكسبه المعرفة بغوامض أحوال البلاد والأمصار، ثم انقطع بعد ذلك إلى تتبع البلدان والمدن والقرى، فطاف أكثر بلاد العالم الإسلامي، وانطلق عبد الباسط للتدريس، والتف حوله طلاب العلم، وبلغت شهرته الآفاق كفقيه حنفي وكخبير في علم الطب. وأثنى عليه علماء عصره كشمس الدين السخاوي الذي سمع من نظمه وفوائده، وقال عن رحلته: "ودخل المغرب فأخذ دروساً في النحو والكلام والطب بل أتقنه بخصوصه مع جماعة" 25 وخلف مؤلفات أهمها كتابه "الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم" من أشهر مؤلفاته، فهو عبارة عن تسلسل زمني عام للبلدان الإسلامية، وبالأخص مصر وسوريا، وقد صنفه على منوال كتابات ابن حجر والمقريزي السابقة، والتي كانت تعالج نفس الموضوع. 26

ولم يصلنا هذا الكتاب كاملاً، وإنما وجد ضمن قسمين طويلين مكونين من مخطوطين لمكتبة الفاتيكان، ويحتوي القسم الثاني على سيرة ذاتية له تقع في 51 صفحة سجل فيها أسفاره إلى الغرب الإسلامي، والحوادث التي عاينها أو عايشها خلال تنقلاته، وعنى المستشرقون بهذه الرحلة بمراحلها وتواريخها وأحداثها، واعتبروها وثيقة تاريخية نادرة عن أفريقيا الشمالية وبلاد البربر في النصف الثاني من القرن 15 م. كما تتضمن معلومات قيمة عن العادات والتقاليد والأوضاع الاجتماعية والثقافية والعلمية والدينية والحضارية في المجتمعات التي زارها. وذكر فيها بعض القضايا الفقهية التي صادفها في هذه الدول، ودون المناقشات العلمية التي دارت بين العلماء والفهاء حولها، كما أورد العديد من القصص الطريفة التي وجدها أثناء أسفاره وتنقله وكانت مثار حديث الناس، وتوفي سنة 920هـ/1514م. 27

4. دور الرحلة في التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب:

لعل أبرز نموذج ملموس للحوار بين الثقافات هو أدب الرحلة، ذلك أن الناس انتقلوا على مدى قرون من مكان إلى مكان آخر إما للعمل، أو لطلب العلم، أو للتجارة، أو في مهام دبلوماسية، أو لغاية الترفيه؛ فكان التفاعل مع أشخاص آخرين من أجناس وثقافات وعقائد مختلفة 28. وتتخذ هذه التفاعلات أشكالاً مختلفة، فتكون عنيفة ومدمرة أو سلمية وودية. ولا نقصد بالعنف هنا الاحتلال أو الغزو، بل نعني به تصوراً ثقافياً خاطئاً ناجماً عن نقص في التواصل بسبب الأفكار المسبقة 29.

الرحلة عبارة عن التنقل من مكان إلى آخر من أجل التحصيل العلمي أو لقضايا أخرى، والرحلة في طلب العلم، تعد عامل أساسياً للطالب وحتى العلماء والمشايخ وكانوا يشدون الرحال إلى مختلف الحواضر العلمية التي كانت تزخر بالعلم بمختلف الأعلام والعلماء، كما تعتبر الرحلة شرطاً ضرورياً التي من خلالها يكتسب الطالب أو العالم مكانة علمية مرموقة وعالية من طرف عامة الناس ويوضح ابن خلدون في هذا الشأن قائلاً: "فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والعمل بقاء المشايخ ومباشرة الرجال"، كما يقول من جهة أخرى: "لا بد له من الرحلة في طلبه إلى الأمصار المستبحرة" إن الرحلة كانت وراءها مجموعة من الأهداف من بينها الرغبة في التحصيل العلمي، وهذا من أجل تحقيق مسألة طال فيها الجدل، في تلك الحاضرة أي في بلد الطلبة.

وفي وجه من وجوه هذا التراث تظهر الرحلة بأبعادها الحضارية المختلفة ولأجلها تحمل الرحالة العرب والمسلمون عوائق شتى كي تكون المسالك مستنيرة للأجيال غاية التفاعل والتواصل الحضاري والتكامل الإنساني، والرحلة بمختلف أنواعها تعتبر أهم وسيلة لنقل العلوم والمعارف من مختلف الأمصار والحوضر فالرحلة في طلب العلم من الأمور التي على الطالب أو العالم الإهتمام بها، وهناك من يعتبر الرحلة هي أصل العلم، وهذا نظرا لإسهاماتها في نضج الفكر. 30.

إن هؤلاء العلماء وغيرهم قد ساهموا فعليا في عملية تمتين الروابط الثقافية بين المغرب الأوسط ومصر من خلال مشاركتهم في النشاط الفكري والعلمي بالبلدين، وإذا حاولنا حصر مظاهر هذه الروابط فإنه يصعب لكون معنى الثقافة يشمل الكثير من المجالات الدينية والروحية والعلمية والفنية والمعمارية. 31. ففيما يخص مناهج التعليم وطرقه، يلاحظ أن بعض هذه المناهج قد انتقلت من مصر إلى بلاد المغرب الأوسط عبر حركة الطلبة والعلماء، فقد شهدت الرحلة انتشار واسع في بلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني لأن طلاب المغرب الأوسط لم يقتنعوا بالعلم الذي تلقوه في حاضرتهم تلمسان، بل شدوا رحالهم إلى مختلف الحواضر العلمية مغربية مثل: فاس، تونس، غرناطة أو حواضر مشرقية مثل: القاهرة، دمشق، بغداد والمدينة المنورة. خاصة وأن القاهرة كانت تشهد حركة تعليمية نشيطة في عصر المماليك، والاهتمام ولو نسبيا بتعليم المرأة. كما تم تبادل الإجازات العلمية بين الطلبة والعلماء بالبلدين وكان طلبة العلم ينتقلون بين المراكز الثقافية بالمغرب والمشرق للإكثار من الإجازات في شتى العلوم ويعد "عبد الباسط" أحدهم. 32.

يسعى أدب الرحلة، إلى تعزيز التبادل الثقافي في مجال الأدب والترجمة، عبر توطيد التعاون متعدد الأطراف الذي يشمل البحث والتحليل في مجال التاريخ والأدب والعلوم الأخرى.

يمكن تلخيص الأهداف الرئيسة التي يتوخى بلوغها في مجال أدب الرحلة في ما يلي:

تيسير الوصول إلى أعمال أدب الرحلة لأنه يمثل مصادر حية عن الأوضاع الاجتماعية والسياسية والإقتصادية، وخاصة تلك المكتوبة باللغات المستخدمة على نطاق محدود، وتلك الأعمال الأقل حضوراً في الساحة العلمية. وتشجيع المزيد من التنوع في الملتقيات الأدبية ونشر هذه الأعمال الأدبية التاريخية لفائدة الكتابة التاريخية وصورة المجتمعات من خلال رؤية الآخر. إن الرحلات من منطقة إلى أخرى والكتابة عنها يعطينا بالضرورة طبيعة المجتمعات وخصوصياتها وبالتالي نستطيع التفاعل معها. 33.

يعد أدب الرحلة نمط من أنماط التواصل الحضاري متعدد الأطراف أو بالأحرى المجالات، وتظهر من خلاله أشكال التبادل الثقافي والعلمي والإقتصادي وفي إطاره يتحقق التفاعل مع الغير من الأجناس، ويتم مع هذا الفن استكشاف الدور الاجتماعي والسياسي للكتابة، وتحفيز النقاش حول القضايا ذات الصلة بالحوار بين الثقافات وإيجاد فرص لتبادل الأفكار ونقل المهارات والمعارف، وتبادل الخبرات والموارد بين الشعوب. 34.

أدب الرحلات يعد من الفنون الأدبية الهامة التي اهتم بها القدامى والمحدثين واشتهر الكثير منهم ، وكانوا حلقة وصل بين عدة حواضر علمية بتنقلاتهم المختلفة وتسجيلاتهم وملاحظاتهم على طبيعة هذه المجتمعات من حيث مكوناتها وعاداتها وتقاليدها وصورها في أحسن الصور، وعبد الباسط بن خليل من هؤلاء الرحالة.

خاتمة :

قصد حاضرة بلاد المغرب الأوسط التجار و طلبة العلم والعلماء من كل جهة من البلدان الإسلامية وهذا لإنفراد علمائها بملكة التحصيل العلمي والتعليم ، وهذا بالرغم من كل الظروف التي مرت على المغرب الأوسط وهذا لم يمنع حواضره من أن تبلغ مصاف المراكز العلمية الكبرى والعواصم الفكرية الممتازة ، وبالتالي استقطاب العلماء والطلبة وهذا بعد أن فتح لهم السلاطين أبواب هذه الحواضر ومن بين العلماء الذين وفدوا إلى بلاد المغرب الأوسط.

تشكل رحلة عبد الباسط بن خليل نموذج للرحلات العربية بين المشرق والمغرب في العصر الوسيط لأنها ببساطة تمثل وثيقة هامة في كتابة تاريخ المغرب والأندلس خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، بالإضافة إلى أنها تكشف لنا عن جوانب مختلفة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لهذه الفترة.

هذه الأهمية التي تكتسبها الرحلات دفعت المستشرقين من أمثال برنشفيك (Brunschvig) الإهتمام بها وبمراحلها وتواريخها وأحداثها، واعتبروها وثيقة حية عن تاريخ منطقة المغرب والأندلس وعكفوا على تحقيقها وإخراجها بالنظر إلى ماتحتويه من معلومات قيمة عن العادات والتقاليد كما تفصح عن مكونات المجتمع الاجتماعية والثقافية والدينية والعلمية للمجتمعات التي زارها ومنها المغرب الأوسط، كما دون هذا الرحالة العديد من المسائل الفقهية بالإضافة إلى الجلسات العلمية والمناقشات التي كانت تتم بين العلماء والفقهاء، كما سجل لنا العديد من القضايا الطريفة والنادرة التي تعكس خصوصيات المنطقة، وكان لعلاقة الرحالة عبد الباسط بأرباب السلطة دور كبير في الحصول على تفاصيل الكثير من الأحداث عن المغرب والأندلس وممارسته للتجارة جعله يكسب خبرة في التعامل مع الناس.

إن اشتغال الباحثين على أدب الرحلة يعد أولوية علمية هامة بالنظر إلى قيمتها كوثائق مصدرية ترصد لنا قضايا ومسائل متنوعة يستطيع الباحث أن يعود إليها ويتفحصها ليستخرج منها معلومات تفيد الدراسات الأكاديمية في مجالات مختلفة كالتاريخ وعلم الاجتماع والأنثروبولوجية ، ورحلة عبد الباسط جزء من هذه الرحلات التي تبقى مفتوحة للدراسة والبحث أمام الأكاديميين خاصة ما يخص المغرب الأوسط خلال فترة القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي.

ويمكن أن نخرج بالملاحظات التالية:

-القيمة العلمية لهذه الرحلة خاصة التقاء بالعلماء والفقهاء والسلطين بالمغرب الأوسط.

-الكشف عن مظاهر الحياة الإقتصادية وخاصة النشاط التجاري البحري في المنطقة.

-الصراعات السياسية بين دول المغرب الإسلامي كالصراع الحفصي الزياني.

-تسجيل بعض العادات والتقاليد التي تتميز بها المنطقة.

-صورة المغرب الأوسط الحضارية (ازدهار علمي-معالم دينية متنوعة).

-تنوع العلوم المختلفة في جميع حواضر المغرب الأوسط.

-التسامح الديني بين المسلمين وأهل الذمة خاصة وأن عبد الباسط أخذ علوم الطب عند اليهود بتلمسان.

-الرحلة العلمية كونها تواصل علمي تؤدي إلى رفع القيمة العلمية خاصة في بلاد المغرب الأوسط، فبفضلها كان الطلبة يدرسون كل أنواع المعرفة بعد الأخذ عن مختلف الشيوخ والعلماء في مختلف الحواضر المشيعة بالعلم، وبالتالي إثراء الرصيد العلمي ونقل نشاط العلماء وطرقهم في التدريس والتعليم وكذلك أهم المصنفات المتداولة وجميع فنون المعرفة التي يزاولونها وطريقة التلقي.

الهوامش :

- 1 - السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمان ت 902 هـ/1497م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج4، دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ طبع، ص 27.
- 2 - محمود بوعباد، "رحالة مصري يزور الجزائر في القرن التاسع"، مجلة الأصيل، العدد 24، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 1975، ص125.
- 3 زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، 2012، القاهرة، ص123.
- 4- محمود بوعباد، المرجع السابق، ص126.

- Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XV siècle ABDALABA Sit B. HALILET- 5 ADORNE, عبد الباسط بن خليل،
 رحلة عبد الباسط، نشر و ترجمة إلى الفرنسية روبرت برونشفيك في كتاب: LAROSE éditeurs, Paris, 1936, p.40.
- 6 - هو أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم المشدالي البجائي عالم بجاية ومفتيها وخطيبها (ت 866 هـ)، محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1349 هـ، ص 97-98، ص 263.
- Robert Brunschvig, Op. cit, p.41-7.
- 8 - نفسه، ص 41.
- 9 - نفسه.
- Brunschvig, op. cit, p.42 - 10.
- 11 - هو أبو عبد الله محمد المتوكل الزياني. تولى الحكم سنة 866 هـ حتى 873 هـ / 1469 م. التنسي (محمد بن عبد الجليل ت 899 هـ / 1493 م)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرر العقبان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود بوعباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 255.
- 12 - زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 126.
- 13 - هو أبي مدين شعيب بن الحسين الإشبيلي الأندلسي، اختلف في مولده ففيل حوالي 509 هـ وقيل 514 هـ، الزاهد العابد توفي في سنة 594 هـ، أبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني، عنوان الدراية، تحقيق، رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 2، ص 56.
- 14 - إبراهيم بن قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني قاضي الجماعة ولد سنة 880 هـ - ابن مريم، المصدر السابق، ص 57-58.
- 15 - موسى إبراهيم علي، رحلة ابن شاهين الملطي إلى المغرب والأندلس (بين التجارة وطلب العلم)، مجلة كلية الآداب، الجزء 2، العدد 55، جامعة بني سويف، 2020، ص 146-147.
- 16 - زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 129؛ عبد الكريم كريم، تلمسان من خلال كتاب "الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم"، مجلة عصور الجديدة، العدد 2011، ص 67.
- Brunschvig, op. cit, p.49-17.
- 18 - محمود بوعباد، المرجع السابق، ص 126-127.
- 19 - هو محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي، أخذ عن ابن مرزوق الحفيد وأبي الفضل العقباني وأخذ عنه الحافظ التنسي وابن مرزوق الكفيف والسنوسي وابن زكري. توفي سنة 871 هـ / 1469 م. ابن مريم (أبو عبد الله بن أحمد المليتي التلمساني كان حيًا سنة 1014 هـ / 1605 م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: محمد بن أبي شنب، نشر: عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 223.
- 20 - سليمان الحميدي الوهراني أبي الربيع من كبار فقهاء المالكية في وقته، شارك في عدة علوم، ولد ونشأ وتعلم بمدينة وهران، لقيه القلصادي وأنثى عليه قال: "اجتمعت به فيها (وهران) وكان فقيها اماما من خير ما شهدت في عصري." القلصادي (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد القرشي البسطي ت 891 هـ / 1486 م)، رحلة القلصادي تمهيد الطالب منتبى للزاعب إلى أعلى المنازل والمناقب، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص 104.
- Brunschvig, op. cit, p.46 - 21.
- Ibid, p.47 - 22.
- Ibid, p.47 - 23.
- 24 - زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 125-126.
- 25 - السخاوي، المصدر السابق، ج 4، ص 27.
- 26 - موسى إبراهيم علي، المرجع السابق، ص 126.
- 27 - محمود بوعباد، المرجع السابق، ص 130.
- 28 - سعيد الدين صالح، التواصل الحضاري والحفاظ على الذاتية، دار الصحوة للنشر والتوزيع، 2005، ص 86-87.
- 29 - عواطف يوسف تواب، الرحلات المغربية والأندلسية، الرياض، 1996، ص 61.
- 30 - لطفي ميلاد، التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي، مجلة العلوم الإنسانية، الكراسات التونسية، مجلد 12، ص 100.

31- بناهض عبد الكريم، التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب العربي، مجلة الذاكرة، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي، العدد 2018، 10، ص 62.

32- نفسه، ص 63.

33- سعيد الدين صالح، المرجع السابق، ص 87.

34- عواطف يوسف تواب، المرجع السابق، ص 62.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن مريم (أبو عبد الله بن أحمد المليتي التلمساني كان حيا سنة 1014 هـ/1605 م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: محمد بن أبي شنب، نشر: عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.
 2. أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، عنوان الدراية، تحقيق: راجح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 2، 1981.
 3. بناهض عبد الكريم، التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب العربي، مجلة الذاكرة، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي، العدد 2018، 1.
 4. التنسي (محمد بن عبد الجليل ت 899 هـ/1493 م)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرو العقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود بوعباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
 5. زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.
 6. السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت 902 هـ/1497 م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج 4، دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ طبع.
 7. سعيد الدين صالح، التواصل الحضاري والحفاظ على الذاتية، دار الصحوة للنشر والتوزيع، 2005.
 8. عواطف يوسف تواب، الرحلات المغربية والأندلسية، الرياض، 1996.
 9. القلصادي (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد القرشي البسطي ت 891 هـ/1486 م)، رحلة القلصادي تمهيد الطالب منتبى للراغب إلى أعلى المنازل والمناقب، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978.
 10. لطفي ميلاد، التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي، مجلة العلوم الإنسانية، الكراسات التونسية، مجلد 12.
 11. محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1349 هـ.
 12. محمود بوعباد، "رحالة مصري يزور الجزائر في القرن التاسع"، مجلة الأصالة، العدد 24، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 1975.
 13. موسى إبراهيم علي، رحلة ابن شاهين الملطي إلى المغرب والأندلس (بين التجارة وطلب العلم)، مجلة كلية الآداب، الجزء 2، العدد 55، جامعة بني سويف، 2020.
 14. ياقوت الحموي (شهاب الدين ت 626 هـ/1228 م)، معجم البلدان، ج 5، دار صادر، بيروت، 1986.
- 15-Robert Brunschvig, Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XV siècle ABDALABA Sit B. HALILETADORNE, LAROSE éditeurs, Paris, 1936.